مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٤: ١–٧)

يا إخوةُ أطلبُ إليكم أنا الأسيرَ في الربِّ أن تسلُكوا كما يحِقُّ للدعوةِ التي دُعيتم بها* بكُلِّ تواضعٍ ووداعةٍ وبطولِ أناةٍ محتَمِلينَ بعضُكم بعضاً بالمحبَّة* ومجتهدينَ في حِفظِ وحدةِ الروحِ برباطِ السلام* فإنَّكم جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحدٌ كما دُعيتُم إلى رجاءِ دعوتِكم الواحد* ربٌّ واحدٌ وإيمانٌ واحدٌ ومعموديَّةٌ واحدةٌ* وإلهٌ آبٌ للجميع واحدٌ هو فوق الجميعِ وبالجميعِ. وفي جميعِكم* ولكلِّ واحدٍ منَّا أُعطِيتِ النعمةُ على مقدارِ موهِبةِ المسيح.

الإنجيل

(لوقا ١٣: ١٠–١٧)

في ذلك الزمان كان يسوعُ يعلّمُ في أحدِ

شفاء المرأة المنحنية

يشير الإنجيلي، منذ بدء المقطع الإنجيلي الذي يُتلى علينا اليوم، إلى القالب الجغرافي والزمني الذي تجري فيه الحادثة. فيسوع يعلّم في أحد المجامع يوم السبت، وهو في طريقه إلى أورشليم (لو ١٣:٢٢). من البديهيّ أن يتوقّع العارف بإنجيل لوقا أنّ مشادّة ما سوف تحصل بين يسوع ومنتقديه من اليهود حول المسموح به وغير المسموح به في السبت. فالإنجيليّ كان قد أشار إلى مجادلات سابقة حدثت بين يسوع وتلاميذه، من جهة، وبعض الفريسيين والكتبة، من جهة أخرى، حول ما يحلّ صنعه في السبت وما لا يحلّ (لو ٦: ١–١١).

من الملاحظ أنّ لوقا يُسهب في وصف المرأة المنحنية مشيراً إلى مدى خطورة وضعها الصحيّ. فالمرأة فيها «روح ضعف» لم يفارقها منذ ثماني عشرة سنة. وهي منحنية، ولا تقدر أن تنتصب البتّة. يرى بعضهم أنّ التوقّف المسهب عند عوارض المرض مردّه أنّ كاتب الإنجيل كان طبيباً، وذلك بحسب ما نقل إلينا التقليد الكنسيّ. لكنّ هذا لا يمنعنا طبعاً من السؤال عن وظيفة هذا الاسترسال في وصف المرض من ضمن سياق المقطع الإنجيلي. والحقّ أنّ الإمعان في وصف رداءة ما بلغته المرأة من حال الجسد له بُعد تصعيديّ، بمعنى أنّه يزيد من شأن عمليّة الشفاء التي سيقوم بها يسوع.

بخلاف بعض القصص الأخرى التي تنقلها الأناجيل عن الأشفية التي كان يسوع يقوم بها، لا ينتظر السيّد، هنا، من المرأة أن تتوجّه إليه بالسؤال طالبةً منه أن يشفيها، بل يأخذ هو نفسه المبادرة، فيدعوها ويحلّها على الفور من ضعفها، فيما هي ساكتة لا تنبس بكلمة. تمجيد الله، الذي تقوم به المرأة إثر شفائها هو، في إنجيل لوقا، على الغالب علامة الإيمان. إذ نقرأ، مثلاً، على مشارف نهاية الإنجيل أنّ قائد المئة الذي كان واقفاً عند صليب يسوع مجّد الله، إثر موت السيّد، واعترف أنّه بالحقيقة كان رجلاً باراً (٤٧:٢٣). المهم أنّ المرأة المنحنية، في هذه القراءة الإنجيلية، لا تتكلّم إلاّ لتمجّد الله. حتى أنّ الإنجيلي لا يذكر الكلمات التي تفوّهت بها. الكلمات في

العدد ٢٠٠٨/٤٩

الأحد ٧ كانون الأول

تذكار أبينا الجليل في القديسين

أمبروسيوس أسقف

مديولان (أو ميلان)

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الثالث

المجامعِ يومَ السبتِ* وإذا بامرأةٍ بها روحُ مَرَضٍ منذ ثماني عَشْرَةَ سنةً وكانت منحنيةً لا تستطيعُ أن تنتصِبَ البتَّةَ* فلمَّا رآها يسوعُ دعاها وقال لها إنَّكِ مُطلقَةٌ من مرَضِكِ* ووضع يديه عليها وفي الحال استقامَتْ ومجَّدتِ اللهَ* فأجاب رئيسُ المجمعِ وهو مُغتاظٌ لإبراءِ يسوعَ في السبتِ وقال للمجمعِ هي ستَّةُ أيَّامٍ ينبغي العملُ فيها. ففيها تأتون وتَسْتَشْفون لا في يوم السبت* فأجابَ الربُّ وقال يا مُرائي أليس كلُّ واحدٍ منكم يحِلُّ ثورَهُ أو حمارَهُ في السبتِ من المذوَدِ وينطلِقُ به فيسقيه* وهذه وهي ابنةُ إبرهيمَ التي ربَطَها الشيطانُ منذ ثماني عَشْرَةَ سنةً أما كان ينبغي أن تُطلَقَ من هذا الرباطِ يومَ السبت* ولمَّا قال هذا خَزِيَ كلُّ مَن كان يُقاوِمُهُ وفرِح الجمْعُ بجميع الأمور المجيدة التي كانت تصدر منه.

ذاتها ليس لها أيّ قيمة. المهم هو مضمون الكلمات. وهذا المضمون هو تمجيد الله.

بعد عمليّة الشفاء، ينقلنا الإنجيليّ، إذا جاز التعبير، إلى زاوية أخرى من مشهده السردي. فلا يعود الكلام يدور على المرأة، بل على شخصية جديدة هي رئيس المجمع الذي يعترض على ما قام به يسوع من شفاء. بخلاف المرأة التي لا تتفوّه بكلمة إلاّ لتمجيد الله، رئيس المجمع يتكلّم ليوبّخ الجمع الحاضر: «هي ستّة أيام ينبغي فيها العمل، ففي هذه ائتوا واستشفوا وليس في يوم السبت». يشدّد الإنجيلي على أنّ رئيس المجمع كان مغتاظاً، حين تفوّه بهذه الكلمات. ولكن من اللافت أنّه لا يوجّه خطابه إلى يسوع، وكأنه يتجنّب مشادّة معه، بل إلى الجمع. لكنّ يسوع، كما حين شفى المرأة، يأخذ المبادرة من جديد. فيأخذ على عاتقه إعطاء جواب.

بادئ ذي بدء، لا يتردّد السيّد في استخدام تعبير شديد القسوة ينعت به رئيس المجمع: «يا مرائي». هذا التعبير التوبيخيّ لا يرد، في إنجيل لوقا، إلاّ على لسان يسوع. ويبدو أنّه لا يشير إلى الخبث في معناه التقليدي، بل إلى إنسان يعرف الحقّ، لكنّه رغم ذلك لا يجاهر به: «يا مُراؤون تعرفونَ أن تُميِّزوا وَجهَ الأرضِ والسماءِ، وأمَّا هذا الزمانُ فكيفَ لا تُميِّزونَه، ولماذا لا تحكُمونَ بالحق من قِبَلِ نفوسِكم» (لو ١٢: ٥٦–٥٧). ينتج من هذا أنّ رئيس المجمع يعرف، في قرارة نفسه، أنّ ما قام به يسوع في السبت ربما يخالف حرف الناموس الذي حرّم العمل في السبت، لكنّه لا يخالف مقصد الله من وضع ناموس الراحة في السبت، أي تحرير الإنسان. فوصيّة السبت، في معناها الأساسي، هدفها تنبيه الإنسان إلى أنّ العمل ضروريّ، شرط ألاّ يصبح الإنسان عبداً لما يقوم به من عمل. إذاً، الإنسان في انقطاعه عن العمل في السبت يتذكر أنّه حرّ من سلطة أي شيء يقوم به وأنّه، في نهاية المطاف، ليس عبداً إلاّ لله. فإذا كانت غاية السبت هي تأكيد حريّة الإنسان، من الحريّ بيسوع، وهو مسيح الله المرسَل ليعزّي الضعفاء والمساكين والمرضى (لو٤:١٦–٢٢)، أن يقوم بعمليّة شفاء في السبت يحرّر فيها امرأةً منحنيةً من ضعفها.

هذا ما يعبّر عنه يسوع في المَثَل الذي يعطيه. فاليهوديّ العامّي «يحلّ» حماره أو ثوره في السبت ويمضي به ليسقيه. أما المرأه هذه فقد «ربطها» الشيطان ثماني عشرة سنة، ولذا يليق بها أن «تُحل» من سلطة الشيطان يوم السبت. من الواضح أنّ يسوع يستخدم عبارتي «الحلّ» و«الربط» بمعنيين مختلفين. فالحلّ، في حال الحيوان، إشارة إلى تحريره من رباطه المادّي بغية السماح له بالشرب لئلا يعطش. أمّا حلّ المرأة عبر شفائها فهو تحريرها تحريراً كاملاً من سلطة الشيطان، الذي كان اليهود، في زمن يسوع، يعتقدون أنّه سبب الأمراض جميعها. يلجأ يسوع، هنا، إلى حجّة معروفة في فن الخطابة هي الانتقال من مستوى منخفض إلى مستوى عالٍ. فالحلّ من الرباط المادّي أقلّ أهميّة، بما لا يُقاس، من تحرير الإنسان من سلطة إبليس. كما أنّ المرأة، إبنة إبرهيم، وهي جزء من شعب الله، أهمّ من الثور أو الحمار. استخدام يسوع صورة الثور والحمار ربما يكون مجرّد مَثَل مستمدّ من الحياة الزراعية في

تأمل

«أطلب إليكم أنا الأسيرَ في الربِّ أن تسلُكوا كما يَحِقُّ للدعوةِ التي دُعيتم بها» (أف ٤: ١).

ما هي تلك الدعوة؟ تُسمَّون جسداً، ولكم المسيح كرأس. لقد رفعكم وأجلسكم معه بعد أن كنتم أعداء وخطأة. إن هذه الدعوة لعظيمة، وهي تدعوكم إلى أمور عظيمة، لا لأنها تأتي من هناك فقط، بل لأنها تأتي بمثل هذه الطريقة. وكيف نعيش باستحقاق لمثل هذه الدعوة (أو هذه النعمة)؟ عندما نكون متواضعين جداً.

هذا هو أساس الفضيلة. إن كنت متواضعاً وتفتكر كيف خلصتَ بعد أن كنت على مثل هذه السيئات؟ عندها لن تفتخر، لا بالقيود، ولا بعظمة الدعوة، بل لأنك تعرف أن كلَّ شيء يحصل بفعل النعمة. عندها تتواضع.

«أنا تعبتُ أكثر منهم جميعهم، ولكن لا أنا بل نعمةُ الله التي معي» (١

اليهوديّة. غير أنّه قد يكون أيضاً تذكيراً ضمنياً بما ورد في إشعياء: «الثورُ يعرفُ قانِيَهُ والحمارُ مِعْلَفَ صاحِبِه. أمَّا إسرائيلُ فلا يعرِفُ، شعبي لا يفهمُ» (إشعياء ١: ٣). إذّاك يكون المقصود أنّ كلّ مَن لم يفهم مقاصد الله الحقيقية، بما فيها المعنى الحقيقي لوصيَّة الراحة يوم السبت، هو في مرتبة إسرائيل القديم الذي لم يعرف الرب.

الجمع هنا، كما في مواضع أخرى من إنجيل لوقا، يظهر بمظهر إيجابي. فبخلاف معاندي يسوع الذين يُفحمهم جوابُه، يفرح الجمع بجميع الأمور المجيدة التي يقوم به مسيح الله. رئيس المجمع، إذاً، هو لسان حال مجموعة من اليهود يشير إليهم الإنجيلي لوقا بوصفهم «معاندي» يسوع أو خصومه. أمّا الجمع فيمثّل الفئة الأخرى التي تؤمن وتفرح على شاكلة الرعاة، في بدء الإنجيل، الذين آمنوا بالطفل وفرحوا: «ثم رجعَ الرُّعاةُ وهم يُمجِّدونَ اللهَ ويُسبّحونَه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم» (٢: ٢٠). مجيء مسيح الله إلى أرضنا، الذي سنعيّد لميلاده بعد أسابيع قليلة، سيف قاطع يفصل بين مَن يؤمن ويفرح ومَن لا يؤمن ويعاند.

نضعُ اللُّجُمَ في أفواهِها لكي تُطاوِعَنا فنُدير جِسمَها كلَّه. هوذا السُّفُنُ أيضاً وهي عظيمةٌ بهذا المِقدارِ وتسُوقُها رياحٌ عاصِفةٌ تُديرُها دَفَّةٌ صغيرةٌ جداً إلى حيثما شاءَ قَصْدُ المدير. هكذا اللِّسانُ أيضاً هو عُضوٌ صغيرٌ ويفتَخِرُ مُتعظِّماً. هوذا نارٌ قليلةٌ أيَّ وقودٍ تُحرِقُ. فاللِّسانُ نارٌ. عالَمُ الإثمِ. هكذا جُعِلَ في أعضائِنا اللِّسانُ الذي يُدنِّسُ الجسمَ كلَّهُ ويُضرِمُ دائرةَ الكونِ ويُضرِمُ من جهنَّمَ» (يع ٣: ٢–٦). بالنسبة ليعقوب مَن لا يزلّ بلسانه هو إنسان كامل قادر على ضبط كل أهواء جسده لأنه قادر على لجم لسانه. يشبّه ضبط اللسان باللجام الموضوع على أفواه الأحصنة، إذ بواسطة اللجام يستطيع الخيّال سوق الخيل. هكذا الإنسان الذي يضبط لسانه فلا تقوده أهواؤه الحيوانية والشريرة نحو الهلاك ولا ينطق بالشر. يقول كاتب المزامير: «قُلتُ أتحفَّظُ لِسبيلي من الخطأ بلساني. أحفَظُ لفمي كِمامَةً فيما الشريرُ مُقابلي» (مز ٣٩:١). هناك صورة أخرى أقوى، وهي صورة السفينة التي تتحكم بها دفةٌ صغيرة يحركها الربّان. فالإنسان عائش في عواصف تجارب هذا العالم ويتخبّط فيها، ولسانه الذي يعبّر عن إيمانه يقوده نحو بر الأمان. ثم يشبِّه اللسان بالنار التي تحرق الإنسان وتقوده نحو نار جهنم إذا ما أُطلق دون ضابط أو رقيب.

طبعاً لا يعتبر الرسول يعقوب ان ضبط اللسان أمر سهل. ضبط الوحوش أسهل من ضبط اللسان: «لأنَّ كُلَّ طَبعٍ للوحوشِ والطيورِ والزَّحّافاتِ والبَحريَّاتِ يُذَلَّلُ وقد تَذَلَّلَ للطَّبْعِ البشريِّ. وأمَّا اللسانُ فلا يستطيعُ أحدٌ من الناس أن يُذَلِّلَهُ. هو شرٌّ لا يُضبَطُ مملوءٌ سُمّاً مُميتاً. به نُبارِكُ اللهَ الآبَ وبه نَلعَنُ الناسَ الذينَ قد تكوَّنوا على شِبهِ اللهِ. من الفمِ الواحدِ تخرُجُ بَرَكَةٌ ولَعْنَةٌ. لا يَصْلُحُ يا إخوتي أن تكونَ هذه الأمورُ هكذا. ألعلَّ يَنبوعاً يُنبِعُ من نفسِ عينٍ واحدةٍ العَذْبَ والمُرَّ. هل تقدِرُ يا إخوتي تِينةٌ أن تصنعَ زيتوناً أو كَرْمَةٌ تِيناً. ولا كذلك يَنبوعٌ يصنعُ ماءً مالِحاً وعَذْباً» (يع ٣: ٧–١٢).

كور ١٥:١٠).

يقول «بكلّ تواضع»، لا بالأقوال فقط، بل بالأعمال أيضاً. في الشكل وفي الكلام. لا تتواضع أمام الواحد وتتعالى أمام الآخر. كن متواضعاً أمام كل إنسان، أكان صديقاً أم عدواً، أكان كبيراً أم صغيراً. هذا هو التواضع. كذلك تواضعْ في الإنجازات. إسمعْ المسيح يقول: «طوبى للمتواضعين» (متى ٣:٥). هكذا يفعل الرسول بولس.

لا يفيد أن تكون متواضعاً وغضوباً، فهو يقول: «بكل تواضع ووداعة وبطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً في المحبة». إن الغضب يهدم كلَّ شيء. «محتملين بعضكم بعضاً في المحبّة». كيف يمكن أن تفعل ذلك إن كنت غضوباً؟ أجاب «في المحبّة». إن كنتَ لا تحتمل قريبك، كيف يحتملك الله؟ إن كنت لا تحتمل العبدَ أخاك، كيف يصبر عليك الرب. حيث المحبَّةُ كلُّ شيء ممكن ومحتمل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

نضعُ اللُّجُمَ في أفواهِها لكي تُطاوِعَنا فنُديرَ جِسمَها كلَّه. هوذا السُّفُنُ أيضاً وهي عظيمةٌ بهذا المِقدارِ وتسُوقُها رِياحٌ عاصِفةٌ تُديرُها دَفَّةٌ صغيرةٌ جداً إلى حيثما شاءَ قَصْدُ المدير. هكذا اللِّسانُ أيضاً هو عُضوٌ صغيرٌ ويفتَخِرُ مُتعظماً. هوذا نارٌ قليلةٌ أيَّ وقودٍ تُحرِقُ. فاللِّسانُ نارٌ. عالَمُ الإثمِ. هكذا جُعِلَ في أعضائِنا اللِّسانُ الذي يُدنِّسُ الجِسمَ كلَّهُ ويُضرِمُ دائرةَ الكونِ ويُضرِمُ من جهنَّمَ» (يع ٣: ٢–٦). بالنسبة ليعقوب مَن لا يزلّ بلسانه هو إنسان كامل قادر على ضبط كل أهواء جسده لأنه قادر على لجم لسانه. يشبّه ضبط اللسان باللجام الموضوع على أفواه الأحصنة، إذ بواسطة اللجام يستطيع الخيّال سوق الخيل. هكذا الإنسان الذي يضبط لسانه فلا تقوده أهواؤه الحيوانية والشريرة نحو الهلاك ولا ينطق بالشر. يقول كاتب المزامير: «قُلتُ أتحفَّظُ لِسبيلي من الخطأ بلساني. أحفَظُ لفمي كِمامَةً فيما الشريرُ مُقابلي» (مز ١:٣٩). هناك صورة أخرى أقوى، وهي صورة السفينة التي تتحكّم بها دفّةٌ صغيرة يحركها الربّان. فالإنسان عائش في عواصف تجارب هذا العالم ويتخبّط فيها، ولسانه الذي يعبّر عن إيمانه يقوده نحو بر الأمان. ثم يشبِّه اللسان بالنار التي تحرق الإنسان وتقوده نحو نار جهنم إذا ما أُطلِق دون ضابط أو رقيب.

طبعاً لا يعتبر الرسول يعقوب ان ضبط اللسان أمر سهل. ضبط الوحوش أسهل من ضبط اللسان: «لأنَّ كُلَّ طَبعٍ للوحوشِ والطيورِ والزَّحَّافاتِ والبحريَّاتِ يُذَلَّلُ وقد تَذَلَّلَ للطَّبْعِ البشريِّ. وأمَّا اللسانُ فلا يستطيعُ أحدٌ من الناسِ أن يُذَلِّلَهُ. هو شرٌّ لا يُضبَطُ مملوءٌ سُماً مُميتاً. به نُباركُ اللهَ الآبَ وبه نَلعَنُ الناسَ الذينَ قد تكوَّنوا على شِبهِ اللهِ. من الفمِ الواحدِ تخرُجُ بَرَكَةٌ ولَعْنَةٌ. لا يَصْلُحُ يا إخوتي أن تكونَ هذه الأمورُ هكذا. ألعلَّ يَنبوعاً يُنبِعُ من نفسِ عينٍ واحدةٍ العَذْبَ والمُرَّ. هل تقدِرُ يا إخوتي تِينةٌ أن تصنعَ زيتوناً أو كَرْمَةٌ تِيناً. ولا كذلك يَنبوعٌ يصنعُ ماءً مالِحاً وعَذْباً» (يع ٣: ٧–١٢).

إذاً، مشكلة اللسان الأساسية اننا به «نبارك الله الآب وبه نلعن الناس» المخلوقين على صورة الله، وانه «من الفم الواحد تخرج بَرَكة ولَعْنَة» أي هناك استعمال صالح واستعمال رديء للسان، منه يخرج الكذب والمكر والإفتراء والنميمة والشتم، ويمكن أن يكون أداة تسبيح لله وأداة شفاء للآخرين. متى أُسيء استعمال اللسان يصبح سُمًّا مميتاً لصاحبه يبعده عن الملكوت. لذا نظراً للشر الناتج عن اللسان الكاذب يطلب كاتب المزامير من الله «يا ربُّ نجِّ نفسي من شِفاهِ الكَذِبِ من لِسانِ غِشٍّ» (مز ٢:١٢٠). والرسول بطرس يدعو الشرير إلى ضبط لسانه لكي يرث الحياة الأبدية: «لأنَّ مَن أرادَ أن يُحبَّ الحياةَ ويرى أياماً صالِحةً فليكفُفْ لِسانَهُ عن الشرِّ وشَفَتيهِ أن تتكلَّما بالمَكر» (١ بط ٣: ١٠). ما يصدر عن اللسان هو انعكاس لما في داخل الإنسان. كما النبع لا يُخرج مياهاً مرَّة وعذبة، كذلك الإنسان لا يستطيع أن ينطق إلا بالمر أو العذب.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb